حسونة العزابي ومحاكاة الوجع

قراءة بسام جميدة

عجز

علبةُ ألوان. لوحةٌ قماشية. مخيلةٌ ملأى بصورٍ تئنُ حسرةً على أناملٍ بُتِرتْ بشظية!!

يصور الكاتب الليبي حسونة العزابي في ومضته "عجز" فنانا تشكيليا نالت منه الحرب وشظية حاقدة بترت له أنامله التي يبدع بها، فوقف عاجزا ومتأثرا أمام علبة ألوانه ولوحته القماشية في مرسمه الذي كان وسيلته الوحيدة للتعبير عما يجول بخاطره، والآن ليس بوسع هذا الرسام أن يفرغ ما في مخيلته من صور جلها مأساوية، للحرب والدمار فيها اليد الطولى.

التداخل الكلامي في الجملة الأخيرة "مخيلةٌ ملأى بصورٍ تئنُ حسرةً على أناملٍ بُتِرتْ بشظية!!" قد تحيل القارئ إلى غير ما يريد الكاتب إذ من الممكن أن

نتصور هناك شخصية ثانية هي التي تتخيل تلك الصورة، ومنها صورة رسام بترت أصابعه ولم يعد قادرا على الرسم والتعبير وهذه هي علبة ألوانه ولوحته القماشية التي عجز أن يرسم عليها.

الجملتان الأولى والثانية "علبة ألوان" و"لوحة قماشية" تأخذانا إلى الركن الذي يريده الكاتب ليحدثنا عن الواقع، فهي العتبة التي توصلنا إلى عمق النص لتأتي الجملة التالية التي تحدثنا عن المأساة والمعاناة وضحايا الحرب.. ورب سائل يقول ما الذي جعلك تجزم أنها الومضة، من خضم الحرب والمأساة، هنا اختار الكاتب كلمة واحدة ليدلل على ذلك وهي "الشظية" التي لا تأتي إلا من جراء انفجار قنبلة أو قذيفة، وهذه الشظايا هي نتاج الحروب، ولولا هذه الكلمة لما عرفنا أنها ومضة من وحي بلد يخوض غمار الحرب، والبتر هنا عطل الأصابع عن العمل لأنها وسيلة التعبير لدى الرسام الذي يعتمد على مخيلته

وما تكتنزه من صور وأفكار يجسدها على اللوحة، فقد باتت هذه المخيلة حبلى بالصور التي لم يخبرنا عنها إن كانت صورا حزينة أم ذكريات سعيدة، فهو يقول إنها ملأى بالصور التي تئن حسرة على الأنامل التي بترت بشظية وباتت عاجزة عن الرسم.

بؤرة الومضة لم تكن متسعة لتلتقط لنا الهم الأكبر، ولو أن الراوي تحدث عن الرسام الذي بترت أصابعه ووقف عاجزا أمام علبة ألوانه ولوحة قماشته ولم يعد باستطاعته أن يفرغ مخزونه الفكري والتعبيري من تلك الصور التي مرت به وهو يشاهد لحظات الحرب القاسية، الحرب التي نالت من أصابعه أيضا، لكان للومضة مساحة أكبر من التعبير ولم تبق محصورة في الحسرة على الأنامل التي بترت، ولكن ربما أرادها الكاتب استعارة وإسقاطا يصور من خلالهما الواقع بشكل عام.

obeikandi.com

الراوي هنا لم يكن حياديا، فقد استطاع النفاذ إلى مخيلة الشخصية، وشاهد أنها مليئة بالصور، وأن هناك أنين وحسرة ينبعان من تلك الصور غير المرئية للقارئ، لذلك كان تدخله انطباعيا وتعبيريا..

السرد هنا تقيد بالزمن المطلوب للومضة وسرعتها وجاء متدرجا بالبساطة والتعبيرية إلى أن وصل إلى مرحلة الحبكة المتمثلة بالبتر والشظية.

عموما تبقى ومضة "عجز" مشحونة بالألم من خلال التعابير، فعلبة الألوان لن تجد من يفتحها، والقماش لن تمسه فرشاة الفنان الذي بترت أصابعه، والأنين الصادر من تلك المخيلة ينبئ عن الوجع المسكون فيها.

الإسقاط الأكبر للومضة يتمثل في العجز الذي يلازم الغالبية، فكل من عايش الحرب وأصابته شظية بمكان، جعلته ربما عاجزا عن القيام بفعل ما لتغيير ما حوله، وهي إرادة ربما تبدو ضعيفة ولكنها مشيئة

obeikandi.com

القدر، ولذلك يبقى الجماد في اللوحة ، "علبة ألوان واللوحة القماشية" مجرد جماد لا يعبران عن قدرتهما على التغيير مالم تقترن بفاعل متحرك.

قراءة مبسطة أتمنى أن أكون من خلالها قد لامست نبض الكاتب والومضة معا، لأقدم قراءة معقولة تليق بنص يحمل المرارة والوجع.

obeikandl.com